ملخص خطبة الجمعة

بتاريخ ٢٠٢٦/٢/٦

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

*****

بعد التشهد و التعوذ وتلاوة سورة الفاتحة، يتابع حضرته الحديث عن الأسوة الحسنة التي جلعها الله لنا في رسول الله ﷺ في كل معاملة، وخاصة عن حبه لله سبحانه و تعالى وعبادته له. إن معيار حبه ﷺ لربه ﷻ كما بينه الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٣)

ثم إن الله ﷻ أمره ﷺ بأن يقول: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران: ٣٢)

فبذلك وجَّهَنا أيضا إلى نيل هذه المعايير.

فقد أمرَنا الله بالعبادة في عدة آيات القرآن الكريم، ومنها: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٧).

ثم قال الله ﷻ في آية أخرى لافتا الانتباه إلى العبادة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الحج: ٧٨). عندما سنسعى للعمل واضعين في الحسبان أسوته ﷺ وأوامره فستشملنا دعواته التي رفعها لأمته وستنفعنا.

لم يكن النبي ﷺ يضيّع أي فرصة لعبادة الله تعالى، بل كان قلبه مشغولًا بذكره حتى أثناء النوم، وكان يحاسب نفسه بدقة في شأن العبادة. وقد ورد أنه ترك ارتداء ثوبٍ ذي نقوش لأنه شغله لحظةً عن صلاته، مما يدل على حرصه الشديد على الخشوع والتركيز.

فأثناء الصلاة يجب أن لا يكون أمام المصلي ستار أو صور يمكن أن تلهيه عن الصلاة.

تُظهر الروايات بساطة النبي ﷺ العالية وزهده في الراحة؛ فقد كان فراشه بسيطًا من جلد أو وبر، وعندما جُعل أكثر ليونة أعاده إلى حاله لأنه رأى أن راحته الزائدة أثّرت في قيامه وعبادته. كما وصف الصحابة طول ركوعه وخشوعه الشديد حتى كاد يغمى عليهم من طول الصلاة، وكان يُسمع من صدره صوت البكاء من شدة تأثره بمحبة الله. ولم يقتصر على العبادة بنفسه، بل علّم أصحابه أن حقّ الله على العباد هو عبادته وحده دون شرك، وأن من يحقق ذلك ينال رحمة الله ولا يعذَّب.

يبيّن المسيح الموعود عليه السلام أن النبي ﷺ لم يكتفِ بتبليغ القرآن الكريم، بل أقام السنّة عمليًا وعلّمها للصحابة حتى انتقلت بالتواتر عبر الأجيال، فالسنّة هي النموذج العملي لعبادة النبي ﷺ، ويأتي الحديث بعدها ما دام موافقًا للقرآن والسنّة.

كما حثّ ﷺ بشدة على صلاة التهجد، ولم يكتفِ بالنصيحة القولية بل كان يتفقد أصحابه ويشجّعهم عليها، ووجّه عبد الله بن عمر رضي الله عنه إلى قيام الليل، وبيّن فضل من يوقظ أهله للصلاة. والمقصود أن المؤمن ينبغي أن يسعى للارتقاء في عبادته والاقتداء بالأسوة الحسنة التي أرساها النبي ﷺ.

لقد شدّد النبي ﷺ على أهمية صلاة التهجد حتى سمح للزوجة برش الماء على وجه زوجها إذا لزم الأم لإيقاظه على التهجد. ومع كثرة عبادة النبي ﷺ وطاعته، كان يؤكد أن دخول الجنة يكون بفضل الله ورحمته لا بالأعمال وحدها. وقد كانت جميع أفعاله ﷺ عبادة لأنه كان يقصد بها رضا الله دائمًا، فهو الأسوة الحسنة، أما غيره فلا تصبح كل أفعاله عبادة إلا إذا قصد بها وجه الله تعالى.

يقول حضرته لدعاء الحقيقي ليس مجرد كلمات تُقال باللسان، بل يحتاج إلى حضور القلب والعين والعقل معًا، وأن يمتلئ القلب بحبّ الله حتى تدمع العين ويخشع القلب، وإلا بقي الدعاء شكليًا بلا أثر. وقد كان النبي ﷺ أرقّ الناس في دعائه حتى يُسمع لصدره صوت كغليان القدر من شدة البكاء والخشوع، مما يدل على عمق ارتباطه بالله.

كما أُشير إلى أن السعي لاكتساب الرقة في العبادة مطلوب، حتى لو بدأ الإنسان بالتباكي ليؤثر ذلك في قلبه. ورغم علو مقام النبي ﷺ وكثرة عبادته، كان يؤكد أن النجاة بفضل الله، ولذلك كان يكثر من الشكر والعمل، فعلى المؤمن أن يجمع بين العبادة والتواضع ورجاء فضل الله تعالى.

كان ذكر الله من سنة النبي ﷺ، فقد كان يقرأ قبل النوم آية الكرسي وسورة الإخلاص والمعوذتين وينفث في يديه ويمسح بهما جسده، ولأن النبي ﷺ داوم على هذا الذكر أصبح من السنن التي ينبغي للمسلم المحافظة عليها. ومع ذلك لا يجوز للإنسان أن يترك الذكر بحجة أنه غير واجب، ولا أن يظن أن الذكر وحده يكفي لدخول الجنة أو لحل جميع المشكلات، بل الأساس هو أداء الفرائض أولًا ثم النوافل ثم الإكثار من الذكر.

فالقرب من الله يتحقق بالعمل الشامل: الصلاة، والذكر، وحسن الأخلاق، والاقتداء بسنة النبي ﷺ كاملةً، إذ إن الذكر يعين على الارتقاء الروحي لكنه لا يغني عن بقية الأعمال.

ينبه حضرة المصلح الموعود τ إلى أن بعض زعماء الدين والمسؤولين يتظاهرون بالعبادة والورع رياءً للناس، فيطيلون الوضوء، والركوع، والسجود، ويحملون السُبحات ويتظاهرون بالخشوع، بينما النبي ﷺ كان أبسط من ذلك تمامًا، وعظمته كانت من الله وحده لا من الناس.

وقد ورد في الحديث أنه ﷺ يسّر في صلاته عند سماع بكاء الطفل، ولم يكن يتكلف التظاهر بالخضوع أو طول الصلاة بلا حاجة. كما كان يصلي بالنعل إذا اقتضت الضرورة، فلا يُشدد على ما ليس فيه ضرورة، مع الالتزام بالطهارة والنظافة.

إن الاتباع الحقيقي لسنته ﷺ يتطلب التركيز على نيل رضى الله، مع مراعاة التيسير وعدم الالتفات للتفاصيل المتصنعة التي لا تضيف شيئًا لعبادة الإنسان أو لرفعة شأنه أمام الله.

بين حضرته أهمية إقامة الصلاة بكل أركانها: أداء جماعي، إخلاص، خشوع، وهدوء، مع مراعاة شروط الطهارة، وحث الآخرين عليها. فالصلاة وسيلة لصبغ المؤمن بصبغة الله، والنبي ﷺ كان حريصًا على أداء الصلاة جماعة، لكنه يسّر في الحالات الضرورية، مثل السماح للشخص الأعمى بالصلاة في بيته إذا كانت الطريق صعبة، مع التأكيد على أداء الصلاة في المسجد إذا أمكن سماع الأذان.

يشير المسيح الموعود عليه السلام إلى أن بلوغ حالة التعبّد التام والعبادة الخالصة لله تعالى يتطلب الاقتداء بالنبي ﷺ، فاتباع سنته يؤدي إلى نيل البشارات والنجاة، مع التأكيد على أن هذا السعي يحتاج إلى تضحية ومحاسبة ذاتية لضمان جدية الجهد.

وبين حضرته أن قوة محبة الله تجعل القلب متوجّهًا لعبادته وحده، فتزول المخاوف والارتباطات بالدنيا، ويصبح الإنسان قادرًا على العبادة الخالصة والعزلة الروحية والدعاء الصادق، فتظهر الأنوار الروحية ويصبح التعلق بالله كاملاً.

ويبين المسيح الموعود عليه السلام أن إصلاح حالة التعبّد هو العبادة الحقيقية، أي البقاء في ذكر الله تعالى والشعور بوجوده أمام القلب أثناء العبادة. ولتحقيق هذه العبادة الخالصة، لا بد للإنسان من أسوة حسنة، وهي النبي ﷺ، الذي جاء بشيرًا ونذيرًا من عند الله.

ويشير حضرته إلى أن قوة محبة الله تعالى تغلب على المخاوف الدنيوية، وتزيد من التعلق بالله، وتبرز الأثر الروحي في القلب. كما يحذر من الرياء في العبادة ويؤكد أن الطاعة والعبادة يجب أن تكون لله وحده.

ويذكر حضرته أن النبي ﷺ كان يعيش حياة بسيطة، لا يميز نفسه بملابس خاصة أو مظاهر خارجية، وكان يخدم الله في خلواته وغاره، ويعلمنا أن حب الله والتقوى والعبادة الحقيقية لا تحتاج إلى تكلفات دنيوية، بل إلى إخلاص وصدق في العمل والنية.

فعلى المسلم أن يسعى جاهدًا لأداء حق العبادة، واتباع أسوة النبي ﷺ في كل أعماله، مستخلصًا نور الله وفضله، دون الاهتمام بالمظاهر أو التكلفات الدنيوية، مع التفكر في محاسبة النفس على صدق الاجتهاد في الطاعة والعبادة.

وفي الختام دعا حضرته: نسألُ اللهَ تعالى أن يوفّقنا للاستفادة من هذا النور. وأن يوفّقنا لأداء حقِّ عبادته وأن يرزقنا التوفيق لاتباع أُسوته الحسنة، و للسير على هذه الأُسوة الحسنة، وأن يوفّقنا للاجتهاد في ذلك على الوجه الأكمل.

****